ثلاثيات العجب العجاب في العراق

لويس إقليمس

بغداد

للرقم ثلاثة ((3دلالات ومعاني في حياة الإنسان، تختلف تفاسيرُها وضروراتها وحيثياتُها من شخص لآخر، ومن مجتمع لغيره وحسب الظرف الزماني والمكاني. كما يشكل الرقم "ثلاثة" أو مصطلحات "الثلاثية" أو "المثلث" أو "التثليث" في الحياة، رمزًا مقدسًا لدى أديانٍ وشعوبٍ ودول. فالقدماء من الساميين وشعوب سنعار (العراق قديمًا أو ما بين النهرين) كانوا يقدسون هذا الرقم. فآلهة البابليين هنّ ثلاث: "آنو" للسماء و"بعل" للأرض "وأيا" للمياه، كما تفيدُنا كتب التاريخ. وفي العهد القديم لدى العبرانيين اليهود، نشهد على تثليث أشخاص ورموز ذوي دلائل كانت لهم أهميتهم في تاريخ اليهود العبرانيين، ومنها معتقدهم بتكوين الكون من ثلاث: السماء والأرض والبحار. كما أنّ المسيحية تقرّ بوجود الثالوث المقدس المكوّن من آب وابن وروح قدس كأساس معتقداتي في إبراز إيمان مؤمنيها به، ويُستقى منها رموز ثلاثية كثيرة أخرى يعجز عن ذكرها القلم. وقد صاحب الرقم ثلاثة ومضاعفاتُه حياة السيد المسيح التي عمّر فيها 33سنة، أي منذ ولادته حتى صعوده إلى السماء وبضمنها سنوات رسالته الثلاث الأخيرة من حياته التي أمضاها بين اليهود. وفي الإسلام نقرأ ذكرًا للرقم ثلاثة ومضاعفاتها في العديد من الآيات والعادات والممارسات السنّية، وفي ذكر اسم الله ثلاثًا في صلوات الاستغفار وما إليها من قَسَمٍ بالطلاق ثلاثًا للإشارة إلى انتهاء الرباط الزوجي بين الرجل والمرأة. كما أنّ الكثير من الدول تعتمد ثلاثة ألوان في أعلامها التي تمثلها ويحترمها مواطنوها بشيء من القداسة والفخر والاعتزاز، إلى جانب اعتمادها شعارات ثلاثية لأهدافها الوطنية والقوميّة. فيما تشكلُ ثلاثيات الأهداف شعارات العديد من أحزاب السلطة والدولَ والأمم في العالم وحتى لدى رجال السياسة، من قريبٍ أو بعيد.

ولكوني غير مختصٍّ برمزية الأرقام وما تمثلها لدى الإنسان من مدلولات ومعاني، طاب لي التطرق فحسب، إلى ما يشكله هذا الرقم في زماننا الأغبر في بلد عريق الحضارة والشموخ والعزة والكرامة مثل العراق، طيلة مسيرته التاريخية منذ بدء الأزمان. وبكلّ أسف وخيبة، لا بدّ من الإقرار بالحالة البائسة التي يعيشها العراق منذ سنوات عجاف وهو يتأرجح بين سكرات الاحتضار وتتالي الأزمات وتعاظم الفساد وأعمال النهب والقتل والاختطاف والتهديد والتدليس والإيغال في الخرافات والتهريجات وضياع الهوية وفقدان السيادة منذ أكثر من سبعة عشر عاماً خلت، ولا تريد له جهاتٌ عديدة بل أعداءٌ كثيرون أن يتعافى وينهض من كبوته القاتلة بفعل فاعل.

كلّ هذه وغيرُها كثيرٌ ممّا لا يتجرّأ قلمُ العاقل ولسانُ الحكيم وحتى المواطن البسيط الصادق بحسه وفكره، قولَه والتصريح به أحيانًا خشية ملاقاة الأذية والتصفية الجسدية كما حصل مع وطنيين أحرار وأصحاب فكر متحضّر وأرباب أقلام وطنية صارخة ضدّ الظلم والقهر والفساد وضدّ سياسة ديمومة السطوة غير المنطقية التي تفرضها أحزاب السلطة وأدواتُها المنفلتة. وبالرغم من الصحوة الوطنية التي أشعلتها الانتفاضة التشرينية في صفوف جموع المواطنين بجميع أطيافهم عبر ثوارها الأبطال والخالدين من شهدائها ومَن يتولون التنسيق في ساحات الكرامة والشموخ، إلاّ أنّ هذه الأحزاب المتشبثة بالسلطة بكافة رموزها الفاسدة المستنفعة التي خرّبت البلاد ومزّقت العباد لا تريد مغادرة سلوكياتها الهائمة في البحث المتكالب الدائم عن مكاسب ومصالح ومغنائم بالضدّ من إرادة الوطن والشعب المغلوب على أمره. ولعلّ واحدًا من التبريرات التي تتشدّق بها للبقاء في السلطة ما قدّر لها البقاء والإطالة في عنادها وإصرارها على مداومة أشكال الفساد والقهر والظلم، ما تنالُه من تشجيع ودعم خارجي مشبوه من دولة الولائية وما ترفده بها دلالات مثالية طائفية وعرقية ومذهبية بتغطية دينية مدلّسة ومتزلّفة في أغلب صورها. فيما هذه الصورة السلبية الأخيرة قد كشفت عورتَها مؤخرًا تصريحاتٌ وتسريباتٌ ومكاشفاتٌ من دواخل دهاليزها المتهرّئة ذاتها. وستأتي أيام، وهي قريبة بقوّة الإيمان بالوطن وأهله الطيبين، حين تنكشف أسرارٌ وتطفو رموزٌ ويُطاح برؤوسٍ كبيرة كانت السبب في بلوغ العراقِ وأهله مهالكَ الحياة ورزالةَ العيشَ وشظف القوت وغياب الرحمة وفقدان الهوية وضياعَ السيادة بعد استبدال كل إرثها الوطني بثقافة التبعية والولائية للغير الدخيل، مهما كانت قدرةُ هؤلاء وجبروتهم وسطوتُهم ودعمهم الولائي الخاسر في نهاية المطاف.

نونات العراق الطيبات الثلاث

اكتسب العراق شهرة عجائبية في "ثلاثيات نوناته" الجدلية، السلبية منها والإيجابية، التي لصقت بتاريخه وجغرافيته وأوضاعه السياسية منذ نشأته وعبر مسيرة حياة شعوبه متعددة الموارد والأديان والمذاهب والإتنيات، والملتصقة بثقافات هذه الأخيرة المتنوعة وحضاراتها المتأصلة في التاريخ. بعض هذه الثلاثيات "النونية" تعود لطبيعة موقعه الجغرافي وثرواته الطبيعية المتمثلة بنون "نهريه" الخالدين اللذين بدا عليهما آثار الشيخوخة والنضوب بفعل فاعل، وأخرى تتعلق بنون ثروته "النفطية" الريعية التي انقلبت عليه وبالاً ونقمة، واخيرًا، في ثالثتها التي تزيّن "نخيله" الجميل الباسق الذي عبثت به يدُ الحرق والدمار والتجريف لأسباب عدة منها الحروب الشرسة والسطو غير المشروع على البساتين وتغيير مجرى القنوات المائية بهدف قطع الحياة عن بساتينه الوارفة التي كان التمر العراقي يزدان بل ويزّين موائد سادة الدول وشعوب كثيرة في العالم بسبب تنوع أصنافه وندرتها وحلاوة طعمها الذي لا يُضاهى.

قبل ايام تناول شيخ الثقافة ونديم الصحافة العراقية حسن العلوي، أمدّ اللهُ في عمره، على صفحات جريدة الزمان ما تتمتع به بلاد الرافدين من خيرات غزيرات تبدأ أفضالُها بنونات ثلاث عامرات "نون النهرين، ونون النفط ونون النخيل" التي أنعمت بها السماء أرضَه لتقيتَ البلاد وعبادها والبشرية من ثمارها ومنتجاتها الطيبة وثرواتها الكثيرة ومياهها العذبة وخضرتها الوارفة. وكانت حسرةُ الرجل في مكانها حين وصفه ببلوغ مأساة العراق حدّ الإفلاس وخواء الميزانية لغاية عتبة الاستجداء بسبب ما يعانيه منذ سنوات عجاف من تخلّف في كلّ شيء، بدءً بغياب السيادة ونقصان الهيبة وخشية من إفلاسٍ متوقع وخوفٍ من أعمال سلبٍ ونهبٍ وسطوة غيرَ مشروعة تحصَل على أيدي ساسة البلاد وأحزاب السلطة وأدواتها. ناهيك عن زيادة في الفقر في صفوف العامة وتعطّل ماكنة الصناعة وتراجع في الزراعة والثقافة والعلم وخدمة المجتمع. فنوناتُه الثلاث العامرات الطيبات قد عطّلتها أيادي دخيلة على الوطن بفعل سياسة الفساد وإقطاعيات المحاصصة التي تتحكم بمقدرات البلاد بلا ضمير ولا وازع ولا خشية من السماء وخالق العباد، وهذه هي التي قصمت ظهر العراق وأعادتهُ إلى قرون الظلام بدعم وتوافق دوليّ على بقائه في أسفل دركات الحضارة والتنمية والتقدم خشية من قدرة شعوبه متعددة الأديان والأطياف والإتنيات التي تشكل فسيفساءَه النادرة من أن تصحو من جديد وتقيم لها جبروتًا نهرينيًا خالدًا يليق بتاريخها الأثيل. فما في جعبة الطبقة المتسلطة الحاكمة من أنانية فاحشة ومن قهر وجهل وتبجّحٍ بالولائية الخانعة لدخلاء وأغرابٍ من خلف الأسوار، قد كشف زيف ادّعائها بالولاء للوطن وخدمة الشعب، حيث أصبحت السلطة لديها تشريفًا وتبجحًا وسطوة ونهبًا وقتلاً وتهديدًا وليس خدمة وتكليفًا ومحبة بالشعب الباحث عن وطن مفقود ولقمة عيش شريفة ووظيفة محترمة وشارع نظيف ومياه عذبة صافية وأمنٍ واستقرار في البيت والموقع والشارع.

حقًا، صدق الشيخ الوطني بقولته الصحيحة حين محاججته ساسة البلاد بالقول: "من المعيب بل من العار ان يتقبل العراق اية مساعدة وكأنه الصومال، وقد وهبه الله ثلاث نونات، نون النهرين، ونون النفط ونون النخيل".

ثلاثيات جدلية أضرّت بالعراق

يتحدث ساسةٌ أصبحوا خارج أروقة السلطة ومفكرون ومثقفون وحكماء قوم عن ثلاثيات أغلبُها جدلية ضارة وماكرة في حيثياتها ومخارجها السياسية والمجتمعية. فقد دخل العراق زمنَ مثلث السلطة الحاكم "الشيعي- السنّي -الكردي" الذي فرضه الغازي الأمريكي المتغطرس سيّدًا مطلقًا ولا أحد سواه بدل تأمين وتشويق الحسّ الوطني الذي يساوي في المواطنة والعدل في الحكم دون تمييز. كما أنَّ الظرف الاستثنائي الذي عاشته بلاد ما بين النهرين الخالدين منذ الغزو الأمريكي المقيت في 2003 والإتيان بطبقة سياسية دخلية وغريبة في معظم شخوصها ورؤوسها التي حطّمت ودمّرت وأنهكت وأضرّت بحياة شعبه، لا يمكن استمرارُه إلى ما لا نهاية. ولا بدّ للعبة "الأمريكية-الغربية-الإقليمية" أن تنتهي وتنهي مشوارها غير القويم الذي دنّست به سيادة البلاد وانتهكت حقوق العباد الطيبين في أصولهم النهرينية العريقة وحقهم بالعيش أحرارًا وطنيين في بلادهم وتحت ظلال خيمة عراقية مستقلة وليس غيرها. ولا بدّ لليل المثلث العاهر أن يزول وتنبلج أضواءُ نهارٍ عراقي جديد بشعور وطنيّ وحسّ نهرينيّ خالص في سومريته وبابليته وأكديته وعراقيته الحديثة التي جسّدها الحكم الملكي بأروع صورها في استقرار البلاد على عهده، وكانت فيها بوادرُ رائعة لمشاريع التحديث والتمدّن والبناء بفضل نزاهة حكوماته المتتالية حتى القضاء عليها في صبيحة 14تموز الفاجرة التي نقلت البلاد إلى عهود جمهوريات الظلام وأدخلت مواطنيها في ثورات جنونية متتالية كانت ثمارُها العليا سكبَ أنهارٍ من دماء زكية كان يمكن استخدامُها لأجل البناء والتنمية وإصلاح البشر والحجر معًا، لولا غيلة السلطة والجاه والمال ومغرياتُها وأدواتُها القاتلة. فكلنا على دراية كافية بأن من يصنع سياسة البلاد ويرسم لها مواقفها ومنهاجَها أحزابٌ وأشخاص فرضها الحاكم بريمر بتمثلها بزعامات المثلث الحاكم "الشيعي- السني- الكردي" التي تتفق وتتوافق وتساوم وتتفاوض على تقاسم الكعكة أو ما تبقى منها. وهؤلاء، لكل منهم مصالحه الحزبية والطائفية والفئوية والشخصية. كما لهم مخاوفهم من أية نزعة أو ثغرة لتغيير مسار العملية السياسية ومنظومتها الفاسدة. فتغيير المسار والمنهج يعني من جملة ما يعنبه الخشية من فقدانهم دفة الحكم وما فيه ومنه من مزايا وامتيازات وثروة وجاه ونفوذ، وأخيراً خوفهم من محاسبة الشعب إياهم على إساءتهم السلطة وتسليمهم البلاد للغريب الدخيل خنوعًا وخضوعًا وولاءً مشبوهًا.

من هنا، فإنَّ معظم شخوص نظام السلطة الذين قُدّر لهم الخروج أو الطرد من دهاليزها لا يتوانون بالحديث عن سلبيات تسلّط المثلث المحاصصاتي البغيض الحاكم منذ 2003؟ أحيانًا بشيء من الريبة والتورية والتدليس، واخرى علنًا كشفًا للمستور وفضحًا للقائم من الواقع المشين أو تأنيبًا للضمير ونأيًا بالنفس عن المضرات والأذيات التي لحقت بالبلاد وشعب العراق الجريح حتى العظم. ولكن الجميع متفقون وبدون مواربة على سلبية هذا الحكم السلطوي الثلاثي الذي رسمه الحاكم الأمريكي الفاسد بريمر، وبه أوكلَ لكلّ حزب فاسد أو شخصية انتهازية دورًا للقضاء على ما تبقى من شبه الدولة العراقية آنذاك. وبالفعل، فقد أجاد الجميع ومن دون استثناء، أداء دورهم المرسوم لهم في تغييب سمة الولاء للوطن وكلّ ما يمكن أن يخدم طبقات الشعب المنهارة. وقد حصل ذلك من خلال خلق طبقة سياسية متسلطة على رقاب جماهيرها باستخدام أدوات الدين والطائفة والمذهب دعمًا لأجندتها الشاملة بتدمير ما تبقى من مؤسسات البلاد وتخريب نسيجها المجتمعي عبر إثارة نار الطائفية وجعلها منهجًا في الحكم والولاء وبالاتفاق مع دولة الولاء ذاتها تقاسمًا لأدوار السلطة ونهبًا للثروات وتركيع العباد.

ولعلّ من الأمثلة المقبولة من هذه الترسيبات والتصريحات وليس الحصر، ما كشفته شجاعةُ أعلى سلطة رقابية سابقة في الدولة العراقية، متمثلة بالسيد عبد الباسط تركي، حين حديثه عن شيئ مخيف عن هذا المستور، بالرغم من معرفة الجميع وحديثهم عنه في كلّ زاوية وكل شارع وكل بيت. فقد صدق القولَ بكون أبواب البلاد مشرعة للاستثمار بشكل استثنائي، الا أن هناك "مثلث "موت سياسيّ قائم على قدمٍ وساق يضع العراقيل أمام نهوضه وتطوره الا وهو "الفساد والمحاصصة والعنف".

وبحسب رؤيته الوطنية الصائبة، إنْ صدقت النيات، لا بدّ من توفر الإرادة السياسية لكسر أضلاع هذا المثلث الذي بات ضرورة للنجاح خلال المرحلة المقبلة.

إنها رؤية سليمة سياسية لا تتقاطع مع تصريح الخبير العسكري سرمد البياتي بوجود "مثلث" جغرافيّ مميت لا يقلّ خطورة عن أعمال القتل والترويع وعدم الاستقرار التي تشهدها البلاد منذ الغزو الأمريكي وما لحقها من مؤامرة احتلال دواعش قرون الجاهلية وسيطرتها على "ثلث" أراضي العراق وفرضها دستور الظلام في تلك المناطق الساخنة. وجميعُنا على دراية بمثلث الموت القاتل الذي يقع بين المحافظات "الثلاث" الساخنة لغاية الساعة، صلاح الدين وكركوك وديالى. فما تزالِ هذه المناطق تشهد اختلالاً أمنيًا وأحداث قتل وخطف وسلب من جهات خارجة عن القانون لها صلة بجيوب تنظيم الدولة، ما يصعب معالجتُها بسبب ضعف التعزيزات الأمنية للدولة وهزالتها الهشة وارتباط بعضها بهذه العصابات أو تسهيلها للقيام بعمليات نوعية بين فترة وأخرى إشعالاً للأحداث ولأجل خلق فوضى وإشغالاً للأجهزة الأمنية ونهيها عن السعي لإعادة الأمن والاستقرار وفرض هيبة الدولة التي تسعى لها حكومة السيد الكاظمي، بما عليها من ملاحظات بسبب تساهلها في هذا الخصوص، إنْ مراعاة لجهات آزرتها في تقلّد الموقع أو تحاشيًا لأي صدام مع جيوش ولائية غير خاضعة لقانون فرض هيبة الدولة وسيادتها على الأرض والحجر معًا، أو خشية من قيام صراعٍ وطني-ولائيّ لا تُحمد عقباه.

وقانا الله شرّ كيد أعداء العراقِ وحفظ أهلَه وأرضه وسماءَه ومياهَه، وأيّدَ رجاءَه بغد مشرق قادمٍ أفضل!

كورونا وسيناريوهات الحقيقة والمؤامرة

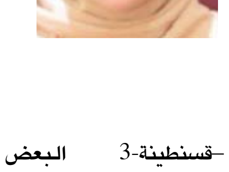

سكينة العابد

الجزائر

جامعة صالح بوبنيدر –قسنطينة-3

مضى وقت منذ أن بدأت أزمة فيروس كرونا وأنا أتابع ما يكتبه الأخرون من كتاب وصحفيين ومختصين ومدونين، وأكثر ما طغى فيها من بعضهم خطاب المؤامرة الذي غزا سوق التداول المعرفي، الفكري والتحليلي للظاهرة وتداعياتها بصورة أراها في كثير من الأحيان مبالغ فبها، لحد الاعتقاد أن ما تسطره أقلامهم من أفكار وحكايا هي نسيج مخيلاتهم لا أكثر!وفي أي حال لا مجال للعودة إلى الوراء لسرد أحداث كرونا المتسارعة وأثارها على الصحة العامة وعلى الاقتصاد والسياسة والإعلام وكل ماله علاقة باهتمامات البشر وأدواتهم الحياتية، لأن الأزمة تولدت عنها بروتوكولات وحلول وابتكارات وتدابير سارت من خلالها الدول لمواجهة هذا الانقلاب الكوني المفاجئ، لذلك لن يجدي تفكيك تلك الطقوس التي أضحت في عرف العامة والخاصة هي الخيار الوحيد والأوحد لبلوغ أفاق النجاة من هذا الوباء أو على الأقل التقليل من آثاره.

وعليه؛ فإن ما سيحملنا للكتابة في هذا الموضوع هو استقراء التجليات الكبرى لمن كتبوا بحثا عن الحقيقة، فجاءت بعض الكتابات مسوّقة لحتمية نظرية المؤامرة واعتبارها هي التفسير الأخير والنهائي بما لا يستدعي ردا أو تشكيكا.

والحقيقة، أنه لا تعارض قطعي مع نظرية المؤامرة وثبوتها في منظمات السياسة والاقتصاد والتاريخ والإعلام وغيرهم. لكن فيما يتعلق بأزمة فيروس كرونا لم يثبت لحد الان ما يريد بعض الكتاب إثباته كلاما وتطويعا لمعطيات تبقى في نطاق التوقعات والتخمينات.

كرونا ونظرية المؤامرة؟

نظرية المؤامرة ليست كما قد يعتقد البعض نظرية كاملة الأركان والأسس يفكك بها ما استعصى فهمه من أسرار بعض القضايا كمفهوم النظريات السياسة الأخرى، وإنما ورد هذا المصطلح لأول مرة وبشكل صريح عام 1909في أحد مقالات صحيفة American History Review وتم اعتماد المصطلح مع الزمن في عدة معاجم وقواميس.

وتتجه بعض الأراء إلى أن وكالة الاستخبارات الأمريكية ((CIAاخترعت هذا المصطلح سنة 1967بهدف إقصاء أولئك الذين شككوا في الرواية الرسمية لاغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق »جون كينيدي" والقائل بأن قاتله تصرف بمفرده.

وعليه؛ فكل ذلك يعني أن ولادة هذا المصطلح كانت إعلامية محضة، لكن نحن إزاء ظاهرة على مسرح الكتابات الفكرية، إذ لم يلق مصطلح من الرواج والانتشار ما لقيه مصطلح المؤامرة، والسبب حسب تصوري ليس لكونه جديدا ومغريا بالخوض والاتباع، ولكن أيضا لسهولة توظيفه ومقاربته إزاء الكثير من القضايا والاشكالات وبعض العلاقات الدولية المبهمة، أو التي يكتنف أدوارها وخبايا سياساتها وردة فعلها الكثير من الغموض.

إن إعلام الغرب ومفكريه يستخدمون هذا المصطلح تجاه قضايا ما، وبالنسبة لأزمة كرونا هناك تبادل للتهم خصوصا بين الولايات المتحدة والصين بخصوص نشأة الفيروس وانتشاره، لكن مما لاحظته على بعض الكتاب هو استخدام الفكرة أو التهمة بإفراط مقصود أو غير مقصود لحد جعله فزاعة تقرع بها الطبول إزاء أي قضية هنا وهناك، وهذا ما وقع فيه الكثير تجاه أزمة كرونا بترجمتها لمؤامرة، والتأكيد على ذلك دون الاهتمام بتقديم أدلة وبراهين تؤكد هذه الفرضية التي تبقى كذلك في حالة عدم توفر الأدلة والبراهين القطعية، فالتركيز على فرضية أن فيروس كوفيد 19هو فيروس معدل جينيا ومصنع في مختبر اشتغل عليه باحثون، وبأنه فيروس هجين مركب من فيروس الأيدز والسارس ومجموعة فيروسات من سلسلة كرونا كما ورد في بعض الكتابات ..يستفز لدينا سؤالا كبيرا ليطرح أولا : هل هذه حقائق أم تخمينات ؟ فإذا كان القول بالأولى أي أنها حقائق ، فلا دلائل لحد الأن بصحة ما ذكر، وإذا كان الثانية بكونها مجرد تخمينات ، فالأفضل الاعتراف وعدم ممارسة سلطة الوصاية والهيمنة الفكرية بتوجيه الرأي العام نحو اتجاه واحد ورأي أحادي، فالمعرفة في تغير مستمر.

يجب على الكاتب أن يراهن على حقيقة مفادها الصدق مع القارئ من خلال الغوص في القضايا وتحليلها بما يتوفر من أحداث وحقائق تخرج من دوائرها الحقيقية وليس من خلال الملفات المشبوهة والعابرة التي تغلق على ذهن القارئ والكاتب على حد سواء، قد تكون المؤامرة أحد تفسيرات أزمة كرونا وتداعياتها، لكن من الواجب وإذا ما قدم الكاتب هذا الرأي لا يجعل منه النهاية التي لا تحتمل أي تغيير لأن جل الحقائق لا تبدو تماشيا مع سرعة الحدث وإنما في معظمها تتراءى بعد زمن قد يكون طويلا.

بعض الخطابات .. بعض السيناريوهات؟

على الرغم من خطورة الوباء وانتشاره السريع والفتاك، وتهديده للبشرية جمعاء إذا لم يعثر على اللقاح، إلا أن الحديث عن خفايا اللقاح جاء موغلا في المخاوف حد التنبؤ بمعطيات لا تلتقي وعوالم الرقمنة، وكأن هؤلاء يتصورون بعض النماذج والقراءات الرقمية على نحو يفوق التصور.

فقد قرأت لكاتبة تقول: بأن هناك عصابة عالمية تتألف من دول همجية تدعي التحضر والهمجية وعائلات شهيرة تمتلك المال بالمليارات وتتحكم بمصير العالم كله !!مثل عائلات روتشليد وروكفيلر وغيرها، ولا يهمها البشر ولا الأخلاق ولا الأديان ولا الإنسانية سوى امتلاء خزائنها بالذهب والدولارات وصارت تعتقد أنها رب الأرض، وتتحكم بمصير مليارات البشر لخدمة مشروعها الذي يصب في مصلحة الأعور الدجال وتحقيق حلمه بإقامة مملكة الشيطان على الأرض !! والتمهيد للنظام العالمي الجديد القائم على حكومة واحدة إرهابية متطرفة وجيش واحد لا إنساني، ودين واحد شيطاني !!

وأنا في ردي على هذا الطرح لا أعلن نفسي عالمة بالمجال أو الغيب، لكن الربط الجازم بين هذا السيناريو وفيروس كورونا، ينم عن اللجوء المفرط للخطاب المؤامراتي والاستسلام التام له، دون التطرق بطرق موضوعية لمختلف وجهات النظر بشأن الموضوع، والدفع بالمجتمع نحو تكوين وجهة نظر موضوعية تقوم قبل كل شيء على فهم الواقع ومحاولة مجابهة هذه المرحلة الاستثنائية بكل وعي، بل ومحاولة الدفع بمجتمعاتنا لتكون عضوا فاعلا في حركة الأبحاث العالمية حول الفيروس ولقاحه بدل خطاب الترهيب التام الموحد، الذي يدفع به للانكسار وانتظار مصيره المحتوم بين أيدي قوى الشر العالمية التي تمت الإشارة اليها في عدة كتابات على أنها التفسير الوحيد والمصير الوحيد للإنسانية ولا مجال لتغييره.

إن الاعتقاد بتحقيق هذا النموذج راهنا والحديث بلغة الإحباط ونشر الرهاب الإعلامي عن الفيروس وبهذه الصورة أراه إقرارا بعجز فاضح في التفكير وإلهاء عن التفكير في إيجاد حلول ليس على مستوى هذا الفيروس فقط بل على مستوى كل أزمات البشرية في العالم.

لقاح طبي أم لقاح إلكتروني؟

وانتقل من ذلك لما يخص اللقاح، لنرى أن أساليب الشك لم تبرح العديد من الطروحات، ونحن هنا لسنا ضد الشك كمنهج فكري قاد الفكر البشري نحو العديد من الحلول والحقائق، لكن فحوى الشك هو المقصود، فالقول بأن الفيروس هو مركب أصلا لإضعاف مناعة الناس وتعريضهم للموت المؤكد، لكونه يحوي رقائق إلكترونية سيتم من خلالها التحكم بالإنسان! وتوجيهه كيفما يشاؤون وربما قتله إذا رفض الانصياع لهم! وربما سيدخل هذا اللقاح أيضا في خلايا الجسم ويخلق أمراضا فتاكة ستؤدي بحياة ملايين البشر !!

والسؤال الكبير الثاني؟ من هؤلاء كلهم الذين يمكنهم التحكم في كل البشر وبهذه السهولة؟ وهل ما يقوله ويكتبه البعض هي حقائق ثابتة أم من وحي خيالهم، وكأنهم وقفوا عقارب ساعة المستقبل عند أفكار البعض وطموحاتهم؟

والسؤال الأكبر؟ هل يمكن علميا صناعة واستخدام رقائق إلكترونية تتحكم في عقول البشر الذين يتجاوز عددهم السبع مليارات؟

إن الأطرف من كل هذا أن يتحدث بعضهم عن تبعات المؤامرة الأولى وذلك بالكشف عن خاتمة المؤامرات كلها وهدفها وهو سعي أصحابها للتقليل من عدد سكان الأرض إلى نحو 500مليون فقط وبالتدريج حتى الوصول إلى هذا الهدف الأسمى ما بين عامي 2030و2050.

وأعتقد هنا أن من كتب هذا يبدو أنه متحصن خلف بعض النظريات التي ظهرت هنا وهناك محاولة تفسير وضع العالم على هشاشتها، منها مثلا نظرية "مالتوس" التي تقارب بين عدد السكان الذين حسبه بمتتالية حسابية بينما المحاصيل الزراعية بمتتالية هندسية، وعليه فيجب تقليل عدد السكان ليستطيع المحصول الزراعي تلبية إشباعاته.

إن مثل هذه النظريات والأقاويل الهشة تنذر بعبثية بعض النخب الفكرية وهشاشتها وتخندقها خلف بعض (الهذيانات) دون التأكد من موضوعيتها أو حتى حقيقتها، وإن مهمتها تتمثل في طرح الجديد والمثير وسياسة السبق نحوه وفقط .. وهذه أعدها طامة كبرى إزاء أصحاب بعض الأقلام التي لا تتوانى عن ركب موجة النرجسية الفكرية على الرغم من عجزها وقصورها.

كرونا ولوحة جورجيا : الخطر القادم من الغرب!

أصل بعد كل هذا إلى الطرح الأخطر ويتجسد في الإشارة إلى ما يسمى بلوحة جورجيا الذي تبنته إحدى الكاتبات في تحليلها لخفايا أزمة كرونا والتي –حسبها –أن هذا اللوح يشير إلى خطة تحدد علاقة البشر ببعضهم البعض، ثم علاقتهم بالأرض.

وبالرجوع إلى النص المسجل على هذا اللوحة في مدينة جورجيا الأمريكية نجد أنه يحوي العديد من الوصايا مكتوبة بثماني لغات منها العربية، يبدو أنها عبارة عن وصايا تتحدث عن تحولات هائلة لا يعلم كاتبها على الرغم من ذكر اسمه روبرت كريستيان؟ ولا يعلم سبب وضعها في ذلك المكان.

وأول وصية تثير الانتباه قوله: ابقوا على أفراد الجنس البشري لأقل من 500 مليون نسمة في توازن دائم مع الطبيعة. ويبدو أن إحدى الكاتبات قد وجدت ضالتها في هذه المقولة بالذات لتفسير أزمة الوباء وتداعياته على البشرية، وبأن تحقق إحدى هذه الوصايا قد بدأ في الظهور. !

لكن ومن خلال الاطلاع على باقي الوصايا لا نجدها تخرج من دوائر الدعوات الإنسانية الداعية للعناصر الإنسانية التالية: للسلام والمحافظة على الأرض والبيئة والطبيعة، وهذا ما يدفعنا للتوقف عن مسايرة هذا الطرح المولد لمخاوف تزيد من أربكة المشهد الوبائي.

ونصل بعد هذا كله للقول: إن القراءة السطحية أو الافتراضية أو التأويلية هي قراءة اصطفائية قد تتمركز عند نقطة واحدة هي نقطة المنتصف دون الانتباه أو فهم أو تفسير ما يحيط بها من نقاط قد لا تبدو ظاهرة لكنها تفتح أفاقا معلومات علمية أو معرفية جديدة.

إن فهم مستقبل الانسان أو حتى ما بعد الانسان عبر احتمالية أن تتغير الطبيعة البشرية مع تطور التقنية الحيوية، لا يمكن توظيفه لأجل تعليب أزمة كرونا واعتبارها المأزق الأخير، أو الصراع الأخير حتى لا نغرق في الوهم أكثر.

وختام القول: من الواجب على أي كاتب أن يتحلى بروح الموضوعية، وأن يتعامل مع الأحداث بروح المتدبر قراءة وتشخيصا وتحليلا عبر طرح عدة أطروحات وليس اعتماد طرح واحد يحاول من خلاله توجيه الرأي العام، وترك المجال مفتوحا أمام رؤى أخرى، فالمجتمع من طبيعته أنه منقاد إعلاميا، والكاتب هنا لا يجب أن يتصرف أو يكتب بصفة الوكالة المطلقة، لأنه يبقى صاحب رؤية مفتوحة على كل التحولات والاحتمالات

□ كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري

متغيرات متشابكة

القمة الثلاثية في عمان

صلاح نوري

بغداد

انها ليست المرة الاولى التي تعقد فيها قمة ثلاثية بين قادة الاردن مصر والعراق فالمرة الاولى عقدت في القاهرة في شهر اذار من عام 2019 لتتبعها الثانية في نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة في ايلول من عام 2019.

قمة عمان التي عقدت في يوم 25 اب من عام 2020جاءت وسط تحديات تواجها الدول الثلاث سياسية اقتصادية وامنية فالملفات المعلن عنها في القمة هي: سبل تعزيز التعاون الثنائي المشترك في مختلف المجالات بالنسبة للدول الثلاث لاسيما تلك التي تخص الطاقة والربط الكهربائي فضلاً عن التنسيق بشأن المستجدات للاوضاع السياسية والاقتصادية والامنية في المنطقة وجهود مكافحة الارهاب.

ان النظرة التحليلية الاولى لما يطرح من ملفات في تلك القمة يدعونا الى التفاؤل الحذر لان جميع تلك الملفات ترتبط بمصالح مشتركة اي ان المصلحة هي المحرك الرئيس في تلك العلاقة الثلاثية دون ادنى شك اذ ما جرى ادراك ذلك من قبل صناع القرار في الدول الثلاث فالبنسبة للاردن هناك العديد من المتغيرات في علاقته مع العراق فالسياسة الخارجية الاردنية تجاه العراق بعد التغيير السياسي تارجحت بين الاعتبارات الاقتصادية والاولوية الامنية لكن المتغير الاقتصادي هو الذي طغى في المشهد السياسي بوصفه متغير مؤثر في العلاقة بين الدولتين.

فالاردن يحاول من خلال تحسين علاقته مع الجارة الشرقية له وهي العراق لمسوغات ترتبط بالسياسة الخارجية لكلتا الدولتين تجاه ايران بدفع من الولايات المتحدة الامريكية التي تشجع العراق على التقرب اكثر من دول الجوار العربي وزيادة التعاون مع تلك الدول بالتوازي مع خفض التعاون مع الجارة الشرقية بالنسبة للعراق الا وهي ايران فالاردن يدرك تماماً ان العراق عمقه الاقتصادي ومتنفسه وبالتالي فان دافع المصلحة بالدرجة الاولى هو من يدفع الاردن الى توطيد العلاقة مع العراق بغض النظر اياً كانت توجهات الحكومة العراقية الحالية ام القادمة فالرؤية الاردنية بالنسبة للعراق كانت ولازالت تتوافق وقريبة جداً من الرؤية الخليجية التي ترى ضرورة انعتاق العراق من النفوذ الايراني والانخراط من جديد مع عمقه العربي.

مكانة اقليمي

اما بالنسبة لمصر فهي تركز بالدرجة الرئيسة في علاقتها مع العراق والاردن على طبيعة المكانة الاقليمية التي يجب ان تتبوءها مصر في منطقة الشرق الاوسط بالتوازي مع التحرك الايراني والتركي في المنطقة فالمرتكزات الاقليمية لامن مصر هي المحرك الرئيس للسياسة الخارجية المصرية فتصاعد اهتمام مصر بالدور الاقليمي بعد استلام عبد الفتاح السيسي السلطة عام 2014يأتي على ايقاع تصاعد التوترات في منطقة الشرق الاوسط فكما هو معروف ان ايران تدعم نشاط حلفاءها في المنطقة بقوة لاسيما في العراق سوريا لبنان اليمن وشمال افريقيا وتركيا من جانبها اخذت سياستها بالتوسع عبر مد شبكة نفوذها في السودان وليبيا اي بمعنى اخر الاقتراب اكثر من مناطق النفوذ المصري وهذا بحد ذاته يمثل تهديد وشيك لمصالح مصر فمصر تدرك جيداً مايجري على الساحة السياسية وبالقرب من حدودها وبالتالي فان عملية التقارب المصري وتمتين العلاقات بين العراق والاردن ياتي بالدرجة الاولى للحصول على مكاسب اقتصادية وسياسية عبر مد نفوذها في المناطق القريبة من تركيا وايران ولا اعتقد هناك ادراك من قبل صانع القرار العراقي بتلك السياسات والتوجهات المصرية التي كانت و لازالت تتطلع الى ان تكون مصر هي الزعيمة والقائدة في منطقة الشرق الاوسط .

الى جانب تلك الاهداف الجيوسياسية لمصر يوجد هدف ذوات طابع حيوي و مهم فمصر وتركيا تعدان من اكثر الدول استهلاكاً واعتماداً على الغاز الطبيعي فالصراع على الغاز في منطقة شرق البحر المتوسط وتداخل ابعاده السياسية والاقتصادية والامنية مع بعضها بعضا يجعل الصراع معقداً وذا تشابكات مختلفة وبالتالي فان التعاون المصري مع العراق سيعود بالفائدة والنفع على مصر من ناحية تجهيز مصر بما تحتاجه من وقود وموارد اساسية للطاقة وعلى راسها الغاز الطبيعي مقابل ربط العراق بمنظومة الطاقة المصرية عبر الاردن.

ولكن السؤال الذي يمكن ان يطرح ماهي مكاسب العراق من تلك العلاقة الثلاثية اعتقد وباختصار ان العراق يمتلك المقومات والامكانات المادية والبشرية التي تؤهله لكي يكون دولة فاعلة ومؤثرة اقليمياً اذا ماجرى توظيف الامكانات التي تحتكم عليها الدولة بصورة عقلانية من قبل صانع القرار العراقي بالتوازي مع التغلب على التحديات الداخلية التي تواجه عمل الحكومة العراقية من امنية سياسية اقتصادية واجتماعية فضلاً عن التحديات الاقليمية والتي تتمثل بالاضطرابات المزمنة في اركان منطقة الشرق الاوسط.

اعادة بناء

فالعراق بحاجة الى عملية اعادة بناء للبنية التحتية نتيجة ما مر به من ازمات متتالية انهكت قواه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واذا نظرنا الى مشكلة الكثافة السكانية في العراق بكل ابعادها وما نتج عنها من بطالة وارتفاع مستويات الفقر فيمكن ان تحل تلك الاشكالية وتحولها الى مصدر قوة للدولة العراقية عبر تحويل القطاعات كافة من قطاعات خاملة غير فاعلة الى قطاعات فاعلة ومنتجة في بيئة المجتمع العراقي من صحة تعليم نفط زراع صناعة وسياحة وذلك من خلال احداث اصلاح عميق لبنية النظام السياسي العراقي وذلك الامر يجب ان تكون له الاولوية قبل كل شي على حساب اي انشطة اخرى في البيئة الخارجية قد تكون كلفة تلك الانشطة الخارجية المادية اكبر من قيمة عادها السياسي او الاقتصادي وربما لا تاتي اكلها بالوقت الراهن نحن من خلال هذا الطرح لا ندعوا الى اهمال السياسة الخارجية فالاخيرة لها دورها الحيوي في اثبات وجود الدولة وتفاعلها وتاثيرها في محيطها وبيئتها الخارجية الا ان ذلك الشي لا يمكن ان يتحقق من دون وجود ارضية صلبة وراسخة في الداخل يمكن الارتكاز عليها فضلاً عن عدم وجود بيئة خارجية مهياة لذلك الشي وترتبط هذه المقاربة بضرورة اعادة بناء القوة الناعمة العراقية بكل مكوناتها من تعليم ثقافة اعلام اقتصاد بما فيه نجاح المشروع السياسي الداخلي تحقيقاً لميزة يتمتع بها العراق وهي القدرات المادية وسعياً لايجاد نموذج جاذب لتنمية العلاقات مع مختلف دول الاقليم وليس نموذجا طاردا و ذا تأثير في صياغة توجهات الدولة العراقية في المنطقة الاقليمية بما يمكن ان يعزز الارضية المشتركة ويسهل عملية التكامل الاقليمي مستقبلاً وليكون العراق دولة قائدة ذات تاثير وليست دولة تابعة وهامشية.